باب التقريظ والانتقاد

خاتمة رسائل اخوان الصفا

رسائل اخوان الصفا كتاب قديم مشهور ذكرهُ الوزير جمال الدين ابو الحسن القفطي المتوفَّى سنة ٦٤٦ هـ في كتابهِ تراجم الحكماء وذكر رسالة كتبها ابو حيان التوحيدي في حدود سنة ٣٧٣ هـ وصف فيها كيف أُلفت هذه الرسائل فقال "ان زيدًا بن رفاعة (وهو من معارفهِ) اقام بالبصرة زمانًا طويلاً وصادق بها جماعة منهم ابو سليمان محمد بن مشعر البستي وابو حسن علي هرون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعرفي وغيرهم وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهبًا زعموا انهم قرَّبوا بهِ الطريق الى الفوز برضوان الله وذلك انهم قالوا ان الشريعة قد دُنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الاَّ بالفلسفة لانها حاوية الحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انهُ متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال وصنَّفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة عمليّها وعمليّها وسموها رسائل اخوان الصفا وكتبوا فيها اسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وحشوها بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المحملة والطرق الموهمة . وهي خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات. وحملتُ عدةً منها الى شيخنا ابي سليمان السجستاني وعرضتها عليهِ فنظر فيها اياماً وتبحَّر طويلاً ثم ردَّها عليَّ وقال تعبوا وما اغنوا ونصبوا وما أُجروا وحاموا وما وردوا وعنُّوا وما اطربوا ونسجوا فهلهلوا ومشطوا فلفلفوا ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ظنوا انهم يمكنهم ان يدسُّوا الفلسفة التي هي علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة والموسيقى والمنطق في الشريعة وان يربطوا الشريعة في الفلسفة وهذا مرام دونهُ جدد وقد تورَّك على هذا قبل هؤلاء قوم وكانوا اعظم اقدارًا وارفع اخطارًا واوسع قوًى واوثق عرًى فلم يتم لهم ما ارادوهُ ولا بلغوا منهُ ما املوهُ لان الشريعة مأخوذة عن الله عزَّ وجلَّ بواسطة السفير بينهُ وبين الخلق من طريق الوحي والمناجاة وفي اثنائها ما لا سبيل الى البحث عنهُ والغوص فيهِ ولا بدَّ من التسليم المدعو اليهِ والمنبَّه عليهِ وهناك يسقط لمّ ويبطل كيف ويزول هلاَّ ويذهب لو وليت" . انتهى ملخصًا مما ذكرهُ احمد بك زكي في رسالة مسهبة لهُ في هذا الموضوع طبعت سنة ١٣٠٨ هجرية وقد

انتبهنا اليها اتفاقاً حالما مسكنا القلم لتقريظ هذه الرسالة ويظهر منها جلياً ان ما قالهُ التوحيدي والسجستاني يؤيد ما ذكرناهُ في الجزء الماضي عند الكلام على ضرر المطابع وما نجاهر بهِ دائماً وهو ان محاولة بعض الكتَّاب تعزيز القضايا العلمية بالامور الدينية والامور الدينية بالقضايا العلمية ليست من الحكمة في شيء

ورسالة اخوان الصفا التي نحن بصددها فيها وصف "تداعي الحيوانات على الانسان" لدى ملك الجان ويقال فيها ان سفينة طرحتها الرياح على جزيرة فنزل مَن فيها الى الجزيرة واستوطنوها وسخروا الحيوانات التي فيها حسبما كانوا يفعلون في بلادهم فذهب زعماء الحيوانات وخطباؤها الى ملك الجان وشكوا اليهِ امرهم فجمع سبعين رجلاً من الذين كانوا في السفينة وتداعى الفريقان امامهُ فامر الملك اخيراً "ان تكون الحيوانات باجمعها تحت اوامر الناس ونواهيهم"

ويظهر مما ذكرهُ اخوان الصفا عن لسان الناس والبهائم انهم كانوا مطَّلعين على كتب العلم اليونانية التي تُرجمت الى العربية فاخذوا مقولاتها وتوسعوا فيها بالزيادة والنقصان ومزجوا بها آراءهم واوهامهم واضافوا اليها من الآيات والاحاديث ما ظنوهُ مؤيداً لها لكي يربطوا الشريعة بالفلسفة فلم يتم لهم ما ارادوهُ ولا بلغوا ما املوهُ كما قال السجستاني واجاد

والرسالة مطبوعة طبعاً حسناً على ورق جيد جداً في مطبعة دار الترقي

المرأة الجديدة

يرى المطَّلعون على تاريخ الامم ومسير العمران ان لا بدَّ لاهل الاسلام من ثورة اصلاحية مثل الثورة التي اوقد نارها لوثيروس في اوربا فيقابَل زعماء هذه الثورة بالتكفير والحرمان كما قوبل لوثيروس وانصارهُ ولكن الاصلاح الذي ينادون بهِ يفوز فوزاً مبيناً فوق ما قدَّروهُ لهُ ويسير في منهاج اصح من المنهاج الذي وضعوهُ . واذا صحَّ هذا الرأي فيكون صاحب كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة وصاحب مقالة النساء في الاسلام وصاحب جريدة المنار من زعماء هذه الثورة الاصلاحية وتكون الثمرة الاولى التي يجنونها تكفيرهم او حرمانهم لكن يلتفُّ حولهم كثيرون من العقلاء الذين يغارون على امتهم واوطانهم ويناضلون ويساجلون الى ان يستتبَّ لهم الفوز اخيراً

وكتاب "المرأة الجديدة" اصغر حجماً من كتاب تحرير المرأة واقل مادةً لكن فصولهُ اكثر انسجاماً من فصول ذاك على ما يظهر لنا واقوى ادلةً . وقد اطلق مؤلفهُ العنان لقلمهِ فجاهر

بغرضهِ كلهِ من اول سطر خطَّهُ فيهِ قال " المرأة الجديدة هي ثمرة من ثمرات التمدن الحديث " فجمع في ثماني كلمات زبدة الكتاب وزبدة آرائهِ فيهِ وترك خصومهُ وخصوم العمران الاوربي يتقوَّلون ما شاؤوا . ثم فصَّل هذا القول المجمل في المقدَّمة وزادهُ تفصيلاً وايضاحاً في الفصول الخمسة التي تلتها فقال في المقدَّمة انهُ بدأ ظهور المرأة الجديدة " في الغرب على اثر الاكتشافات العلمية التي خلَّصت العقل الانساني من سلطة الاوهام والظنون والخرافات وسلمتهُ قيادة نفسهِ ورسمت لهُ الطريق التي يجب ان يسلكها . ذلك حيث اخذ العلم يبحث في كل شيء وينتقد كل رأي ولا يسلم بمقال الاَّ اذا قام الدليل على ما فيهِ من المنفعة العامة وانتهى بهِ السعي الى ان ابطل سلطة رجال الكنيسة والغى امتيازات الاشراف ووضع دستوراً للملوك والحكام واعتق الجنس الاسود من الرق ثم اكمل عملهُ بان نسخ معظم ما كان الرجال يرونهُ من مزاياهم التي يفضلون بها النساء ولا يسمحون لهنَّ بان يساويهم في شيء منها " . ومفاد ذلك ما اثبتهُ في السطر الاول من المقدمة وهو " ان المرأة الجديدة ثمرة من ثمرات التمدُّن الحديث " كالآلة البخارية والتلغراف والتلفون ولا شأن في وجودها لمزايا الامم الشمالية المتطلِّبة الحرية ولا للديانة المسيحية التي جعلت قديساتها كثيرات مثل قديسيها وكاد بطاؤها يعبدون العذراء المباركة كما يعبدون ابنها . ولا شبهة في ان المكتشفات العلمية خلصت العقل من سلطة الاوهام فابطل سلطة رجال الكنيسة والغى امتيازات الاشراف وكان لذلك الشأن الاكبر في ارتقاء الامم الاوربية رجالاً ونساءً ولكن لا ينكر ايضاً ان امم الشمال اطلب للحرية من غيرها وان الديانة المسيحية مهَّدت السبيل لهذه الحرية ولهذا الارتقاء العقلي

وذكر في الفصل الاول كلاماً مختصراً عن حال المرأة في العصور الاولى ثم عند اليونان والرومان والعرب وانتقل بغتةً الى حالها في اوربا واميركا الآن ولخَّص ذلك بقولهِ " عاشت المرأة حرَّةً في العصور الاولى حيث كانت الانسانية لم تزل في مهدها ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي ثم لما قامت الانسانية على طريق المدنية تغيرت صورة هذا الرق واعتُرف للمرأة بشيء من الحق ولكن خضعت لاستعباد الرجل الذي قضى عليها بان لا تتمتع بالحقوق التي اعترف لها بها ثم لما بلغت الانسانية مبلغها من المدنية نالت المرأة حريتها التامة . وتساوت بالرجل في جميع الحقوق . اربعة احوال يقابلها اربعة ادوار من تاريخ التمدن في العالم " . ثم قال ان المرأة المصرية هي اليوم في الدور الثالث اي انها معترف لها بشيء من الحق ولكنها خاضعة لاستعباد الرجل الذي قضى عليها بان لا تتمتع بالحقوق التي اعترف لها بها . وان ذلك من توابع الاستبداد السياسي الذي يخضعنا ونخضع لهُ

واسهب في هذا الفصل والفصول التالية في الشروح الفلسفية والقضايا النظرية وتطبيق ذلك على حال النساء في هذه البلاد والبلدان الاوربية والاميركية وانصف النساء الاوربيات ودفع عنهنَّ ما يرميهنَّ به بعض السفهاء الذين ذهبوا الى اوربا ولم يعاشروا من اهلها سوى المومسات وبعض الكتّاب الذين يبنون العلالي والقصور على احصاء الخطأوا في قراءته وفهمه ثم ابى عليهم تشيُّعهم الذميم ان يصلحوا خطاءهم . وبلغ منهُ حب الانصاف والانتصاف مبلغهُ في الفصل الخامس الذي نشرنا نحو ثلثيهِ في هذا الجزء من المقتطف وهو ابلغ فصول الكتاب واقواها حجة واوضحها دليلاً بل هو القسم العملي منهُ الذي يجب الجري عليهِ . وقد جاهر فيهِ بما يتعذَّر على غيرهِ المجاهرة بهِ فقال " ان المدنية الاسلامية هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتّاب الذين وصفوها بما يحبُّون ان تكون عليهِ لا بما كانت في الحقيقة عليهِ وانها كانت ناقصة من وجوه كثيرة ولا نستغرب انها اخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها فليس خطأها في ذلك اكبر من خطإها في كثير من الامور الاخرى ... وان القول باننا ارقى من الغربيين في الآداب هو من قبيل ما تنشدهُ الامهات من الغناء لتنويم الاطفال "

واننا ننصح لكل اديب يغار على خير وطنهِ ويسعى الى اصلاحهِ ان يطالع هذا الفصل بالامعان فانهُ يجد فيهِ الدليل المقنع على وجوب تعليم المرأة ومنع كل ما يضعف قواها الادبية والعقلية والبدنية

وقد كان لهذا الكتاب وقع عظيم عند جمهور الفضلاء والادباء في هذا القطر فكتب كثيرون منهم يقرظونهُ ويشكرون مؤلفهُ على ما بذلهُ من الهمة في وضعهِ ونشرهِ من ذلك ما كتب بهِ اليهِ عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس مجلس النظار قال

عزيزي قاسم بك

قرأت مع التأمل كتابكم الثاني " المرأة الجديدة " فرأيتكم قد اصبتم فيهِ موضع العلة من الامة واحسنتم التشخيص ودللتم على انجع الدواء وأيدتم باجمل اسلوب ما ذهبتم اليهِ في كتابكم الاول " تحرير المرأة " من ان العائلة لا يمكن ان تكون وسطاً صالحاً لنماء الفضيلة ولا تتقدم الهيئة الاجتماعية في بلادنا تقدماً حقيقياً من دون تربية المرأة على الفضيلة والعلم وان هذه التربية لا تتم مع وجود الحجاب كما هو معروف الآن

ويسرني ان اقاسمكم الاعتقاد بصحة هذا الرأي والرغبة في تحقيقهِ وان اهنئكم على النباهة في الالتفات اليهِ والبراعة في تصويرهِ والبلاغة في التعبير عنهُ والشجاعة في نشرهِ والثبات في تأييدهِ والادب في الدفاع عنهُ

واؤمل ان تعبكم في الفكر والتأليف والنصح لا يضيع سدًى وان هذه البذرة التي وضعتموها تثمر الثمرة المقصودة لكم فتنتظم حال العائلة وتبلغ الامة من الكمال ما يتمناهُ كل محب لخيرها

نعم ان هذا يحتاج الى زمان طويل ولكنهُ يقصر بمشيئة الله اذا دامت عنايتكم بتعهده وساعدكم عليهِ امثالكم من الفضلاء

وانكم وان لم تجدوا في الزمن الحالي كثيرًا من الانصار فسيكون لكم المستقبل كلهُ من الاعوان يشكركم اهلهُ كلما شعروا بسعادة منزلية او وجدوا اثرًا للفضيلة في الهيئة الاجتماعية

اكثر الله من امثالكم في البلاد ووفقكم للنجاح في اعمالكم مصطفى فهمي

والمقتطف يكرّر لحضرة المؤلف ما قالهُ الوزير الحكيم رئيس النظار في خاتمة كتابهِ "اكثر الله من امثالكم في البلاد ووفقكم للنجاح في اعمالكم"

سمير العائلات

من آثار النهضة العلمية الحديثة الاكثار من نشر الكتب المفيدة علمية وادبية ترجمةً وتأليفًا وتلخيصًا وهي على درجات مختلفة من الفصاحة في العبارة والانسجام في الشرح والتدقيق في المعنى حسب اختلاف المترجمين والمؤلفين والمصنفين وتضلُّعهم من المواضيع التي يكتبون فيها

وسمير العائلات كتاب حسن في بابهِ قصد مؤلفهُ بث العلوم الدقيقة من حيث طبائع الحيوان في قوالب الحكايات والاحدوثات القريبة المنال السهلة المأخذ ففرض عائلة مصرية من زوج وزوجة وابن وابنة كانت تجتمع في حلقة البيت ويشرح الابن لاخيهِ ما يتعلمهُ في المدرسة من حيث تركيب جسم الانسان. ثم فرض عائلة أُخرى قصَّت الام فيها على اولادها اخبارًا من طبائع القرود وقس على ذلك طبائع الدب والاسد وهلمَّ جرًّا. وسبيل العلم ليس سهلاً الى هذا الحد ولكن القصص والنوادر التي في هذا الكتاب تسلي وتفيد ولا سيما لانها موضحة بكثير من الصور ومكتوبة على اسلوب قريب المأخذ فنشكر لحضرة مؤلفهِ شكرًا جزيلاً

رواية وردة

وردة اسم رواية الفها الدكتور جورج ايبرس الالماني وترجمت الى كثير من اللغات الاوربية. وقد قرأناها بالانكليزية منذ نيف وعشر سنوات وترجمت الى العربية في ادارة المقتطف ولم نشأ ان نطبعها قبلما نستأذن مؤلفها في نشرها بالعربية. والظاهر ان حضرة محمد افندي مسعود سبقنا الى استئذانهِ فانهُ ترجمها ونشرها وقد اهدى الينا الجزء الاول منها وهو مكتوب بلغة فصيحة مثل كل نفثات قلمهِ فنشكرهُ على ما اتحف بهِ اللغة العربية

تاريخ الانشقاق

اشرنا الى هذا الكتاب حين صدور الجزء الاول منهُ وقد صدر منهُ الجزء الثالث الآن مذيلاً بقلم حضرة مؤلفهِ الفاضل الارشمندريتي جراسيموس مسرّة رئيس كنيسة السوريين الارثوذكس في الاسكندرية . وهو يبتدئ بتاريخ ما كان بين الكنيسة الشرقية والغربية من العلاقات بعد حروب الصليبيين اي من سنة ١٢٦٠ فما بعد حتى فتح القسطنطينية في اواسط القرن الخامس عشر وما حدث في هذه المدة من المجامع وما جرى من السعي لاعادة الاتحاد بين الكنيسة الشرقية والغربية وذهاب هذا السعي باطلاً . ويلي ذلك خاتمة ذكر فيها ملخص تاريخ الكنيسة الشرقية من بعد فتح القسطنطينية الى الآن . ويعجبنا منهُ ما ذكرهُ المؤلف من معاملة السلطان محمد الفاتح لبطريرك القسطنطينية فانهُ " دعاهُ الى الغداء على مائدتهِ واستقبلهُ بكل ترحاب ومنحهُ امتيازات كثيرة وسلمهُ عصا الرعاية مزينة بحجارة ثمينة علامة للسلطة كما كان ينعل قياصرة الروم ثم رافقهُ الى دار البلاط وكان فيهِ جواد من الجياد السلطانية عليهِ عدة ملكية فاركبهُ عليهِ وامر كل موظفي البلاط ان يرافقوهُ الى كنيسة الرسل واعطاهُ حرساً خاصاً ولم يترك عادة من عادات قياصرة الروم الاَّ اجراها بل زاد عليها " ويلي ذلك تفصيل الامتيازات التي منحهُ اياها

والتاريخ كبير مسهب وحبذا لو كان تاريخاً للاتحاد لا للانشقاق

باب الصناعة

زبيب كليفورنيا

ذكرنا غير مرة ان اهالي كليفورنيا احدى ولايات اميركا اخذوا يناظرون بلدان المشرق ولا سيما الاقطار السورية في ما كان يعدُّ من مزايا هذه البلدان فزرعوا العنب والتين والليمون وعصروا الخمر وصنعوا الزبيب على اشكالهِ ووردت محصولات بلادهم الى الولايات الشرقية من اميركا بل الى اوربا وزاحمت البضائع السورية فيها. وقد رأينا الآن وصف كيفية تيبيسهم للعنب وعمل الزبيب منهُ فترجمناها في ما يلي لكي يرى ابناء المشرق كيف يمكن ان ترخص الحاصلات والمصنوعات ولو غلت اجور الصناع كثيراً